في نور محمّد فاطمة الزهراء

كان من قدر فاطمة الزهراء اقتران مجيئها إلى الدنيا بوضع أبيها الحجر الأسود موقعه من ركن الكعبة، فإذا هو يطفئ بحكمته شرر الحرب بين قومه قبيل اندلاع شرّتها[274] ألسنة نار، دارئاً عنهم الدمار والبوار[275]. أفلا يرى مولدها وكأنّه آية بركة وخير؟ طليعة يُمن وأَمن؟ علامة نفحة قدسية من ألطاف الرحمن؟ بشرى رحمة ربانية أفاءت على الناس المودّة، وغمرت النفوس بالصفاء، ونشرت في مكة السلام؟ وكان من قدر علي بن أبي طالب اقتران مجيئه أيضاً إلى عالم الناس ـ كحال الصغيرة ـ بالكعبة الغرّاء. فها هي أُمّه فاطمة بنت أسد تطوف بالبيت الحرام، ها هي تكاد تتعثّر في طوافها وقد أثقل بطنها جنين، راح يتحرّك بين جنبيها، كأنّما ينشد الخروج للنور والهواء، ها هي يفاجئها المخاض، فتتوارى من الأعين، وراء أستار الكعبة ... وتضع الوليد. إلى جوار الحجر الأسود يكون المولد. فإن تكن إشارة في الزمان، تعلن للعالمين عن حظّ غلامها من الطهر، وإشراق الروح، فإنّها ـ نزوله بأطهر بقعة وبأقدس مكان، كرّم به وجهه كما لم تكرّم وجوه غيره من أطهار الأقران ـ آية، بل آيتان، في خلال بضع سنين، اختُصّ بهما ذانك الهاشميان. كلتاهما إيماء كإبداء وجلاء، تلميح كإفصاح وتصريح. آيتان تومئان، ولا تخطئان، إلى قدرين يتلاقيان ويتلازمان، وميلاد الصغيرة ميلاد الصغير يقترنان بالحرم الشريف. وقليلاً قليلاً يميط[276] القدران عن سرّيهما الغطاء، فإذا هم قدران عظيمان عند